التعمية في الشعر الشعبي اليمني من خلال طريقة (الدرسعية)

إيمان أحمد صالح الشرعي

جامعة البيضاء- كلية التربية والعلوم- رداع

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v3i2.188

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوعًا يتعلق بالشعر الشعبي اليمني، وطريقةً سلكها بعض شعرائه في بعض قصائدهم؛ لأغراض معينة، هي طريقة (الدرسعية)، وتعتمد هذه الطريقة على التبادل بين الحروف، حيث يوجد لكل حرف بديل، ويحتاج قارئ هذه النصوص إلى فهم قواعد الدرسعية؛ لفك شفرتها والوصول إلى الكلمات التي قصدها الشاعر، وسيعتمد البحث على القصائد الشعبية التي جاءت بهذه الطريقة؛ بغية معرفة السبب الذي يقف وراء استعمالهم لهذا النوع من الشعر الذي أصبح يعرف لدى الشعراء الشعبيين بالشعر الدرسعي، والفكرة العامة لهذه الطريقة تدخل ضمن التعمية عند العرب، وتشابه فكرة التاريخ الشعري إلا أن التاريخ الشعري قد اعتمد على الأرقام في حين أن الدرسعية تعتمد على الأحرف، كما أنها تقترب من مفهوم الإلغاز عند البلاغيين، وسيعتمد البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي؛ كونهما الأنسب للموضوع، وقد جاء البحث مقسمًا إلى ثلاثة مباحث، مسبوقة بتمهيد، تناول التمهيد مفهوم التعمية وطرقها في مطلبه الأول، ثم جاء المطلب الثاني حول التاريخ الشعري، أما المباحث فقُسِّمت على النحو الآتي:

- المبحث الأول- مفهوم الدرسعية وطريقتها.
- المبحث الثاني-أصول الطريقة الدرسعية.
- المبحث الثالث- نماذج من الشعر الدرسعي.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، أبرزها أن الطريقة الدرسعية المتداولة في مجتمع الدراسة قديمة جدًا، تصل إلى أكثر من ستة قرون، وكانت تُعرف بالقلم الفُمِّي.

الكلمات المفتاحية: التعمية- الدرسعية- الشعر الدرسعي- الإلغاز- التاريخ الشعري.

Abstract :

The existing paper attends to study a popular poetry and the way that poets follow in their poems for some specific purposes. This way is known as Al-Darsaeeah way. It relies on letters exchanging where there is an alternative letter for each one. The reader of these texts needs to understand the rules of Al-Darseeaeh to resolve its codes to reach the intended meaning of the poet's words. The research attempts to discuss some popular poems that is written in this way, in order, to know the reasons behind using this style of poetry. This kind of poetry is familiar with Al-Darasaee poetry for popular poets. The general idea behind this way comes within Encipher for Arabs. In reality, Al-Darsaeah poetry is similar to poetic history . The only difference is that poetic history relies on numbers while Al-Darsaeeah relies on letters. Moreover, Al-Dareseeah is similar to puzzles concept for rhetoricians. The research is based on analytical descriptive method. Because of being the most suitable method for this research. The research is divided into three sections, preceding by an

introduction of 'Encipher' and its types in its first part. The second part includes poetic history. For the sections, they are divided into the following:

The first section- Al-Darsaeeah concept and its style. -

The second section- The origin of Al-Darsaeeah style.-

The third section- Samples of Al-Darsaeeah poetry.-

The research has gotten to many findings, the most important one is that the current Al-Darsaeeah style in the society of the study is ancient. It returns to more than six centuries; it was known as Al-Qaumi pen.

Keywords: Encipher- Al-Darsaeeah- Darasaee poetry- Puzzle- poetic history.

المقدمة:

يمثل الأدب الشعبي الصوت الأبرز للمجتمعات؛ إذ ينقل لنا الحياة بكل ما فيها من عادات وتقاليد وأفكار، وقد أدى الشعر الشعبي في اليمن دورًا كبيرًا في نقل حياة اليمنيين في مختلف مراحلهم، فيجد القارئ فيه اقترابًا شديدًا من تفاصيل حياته اليومية، ففيه عبر الشاعر عن مشاعره المختلفة، فنجده محبًا متغزلًا تارة، ونجده راثيًا باكيًا تارة، وتارة أخرى نجده ثائرًا رافضًا للظلم والظالمين، كما نجده مستعرضًا لقدراته الفكرية وفطنته بإلغازه في الشعر، ويمكن إدراج هذا الأمر ضمن التعمية عند العرب، إذ تقوم التعمية على إخفاء المقصود من الكلام فلا يتبين إلا لمن يمتلك قواعده التي قام عليها بداية، وقد سعى الإنسان إلى إخفاء أمور عدة؛ إما للحاجة، كالحرب، أو الخوف، وإما للتسلية والإلغاز، وحين تتعلق التعمية بالشعر تصبح فنًا كلاميًا يستحسنه المتلقي، ويجد الشاعر فيه مجالًا خصبًا للإبداع، وهذا ما سيتناوله هذا البحث من خلال موضوع الشعر الدرسعي الذي كان منتشرًا في أوساط الشعراء الشعبيين، لاسيما أصحاب الملكات اللغوية المتدفقة وأصحاب الفطنة منهم، حيث كان الشعر الدرسعي عَصِيًا على قارئه ما لم يكن متمكنًا من فك شفرته، وهو على كاتبه أشق حتى يمتلك زمام التحكم به، وذلك بمعرفة طرقه وقواعده، ويأتي هذا البحث في محاولة لتوثيق طريقة الشعر الدرسعي، اعتمادًا على بقايا قليلة من النصوص الشعرية، كونها لم تدون فتحفظ، ولم تعد متداولة، كما يسعى البحث لمعرفة طريقة فك شفرة الدرسعية، والبحث عن أسباب كتابة الشعر بها.

لم تكن الدرسعية طريقة للشعر فحسب، ولكنها تُعد طريقة من طرق التعمية في الكلام، فيتحدث بها من يتقنها موجهًا حديثه لمتلقٍ يفترض معرفته مسبقًا بها، فيتناولان ما يريدانه دون أن يفهم بقية الحاضرين ما يقصدانه إلا من كانت لديه الطرق السليمة لتحويل النص الدرسعي إلى نص مفهوم.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما المقصود بالدرسعية في الشعر الشعبي؟
- كيف يتم تحويل النص الدرسعي إلى نص مفهوم؟
- لماذا أدخل الشعراء الدرسعية إلى قصائدهم؟
- هل للدرسعية أصل عند القدماء؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- التعرف على الطريقة الدرسعية.
- تحويل مجموعة من النصوص الدرسعية إلى نصوص مفهومة.
- محاولة الكشف عن أسباب استعمال الشعراء للدرسعية.
- البحث عن الجذور القديمة للدرسعية.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهجين الوصفي والتحليلي؛ لدراسة الدرسعية ونصوصها، وذلك من خلال وصف هذه الطريقة وتحليل النصوص التي جاءت بها، ومحاولة الكشف عن خفاياها، وأسباب استعمالها.

حدود البحث:

الحدود الزمانية للبحث:العام2021م.

الحدود الموضوعية: الشعر الشعبي اليمني المكتوب بالطريقة الدرسعية.

الحدود المكانية: مديرية رداع-محافظة البيضاء-الجمهورية اليمنية.

التمهيد

المطلب الأول- مفهوم التعمية وطرقها.

مفهوم التعمية:

استعمل العرب هذا المصطلح كناية عن تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع من يعرفها أن يفهم النص (مراياتي، وآخران،1987-28/1)، وقد استعملوا بعض المفردات لنفس المعنى ، من ذلك مصطلح الترجمة للدلالة على التعمية أو بعض ضروبها (الحسني،161/83/1)، واختار القلقشندي أن تكون الترجمة هي استخراج المُعَمَّى(القلقشندي،1987- 230/9) وقوله أقرب إلى المعنى الصحيح، كأن النص كان بلغة أخرى ثم تُرجم، واستعملوا أيضًا مصطلح المُترجَم بمعنى المُعَمَّى والمُترجِم بمعنى المُعمِّي (الحسني،161/83/1)، وقد غلب على هذا المصطلح أن يحمل معنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى.

أما في الوقت الحاضر فيستعمل بدلًا من التعمية مصطلح التشفير ويأتي مصطلح كسر الشفرة للتعبير عن تحويل النص المشفر أو المعمى إلى نص مفهوم(البواب،2009،1)، ويقترب معنى التشفير من مفهوم التعمية، إذ تتمثل فكرة أي نظام تشفير في إخفاء المعلومات السرية بطريقة يصبح من خلالها معناها غير مفهوم بالنسبة إلى أي شخص غير مصرح له بالاطلاع عليه (بايبروميرفي، 2016،15).

طرق التعمية:

عرفت التعمية عدة طرق ويمكن إرجاعها إلى إحدى طريقتين:

1- **تعمية المعاني بالتورية:** وهي لا تتبع قواعد معينة وإنما تعتمد على فطنة المتراسلين وخبرتهم وثقافتهم(مراياتي، وآخران،1987-42/1)، وقد تناول علماء البلاغة هذا النوع في علم البديع، ويدخل ضمنه الإلغاز وإن كان الإلغاز يدل على اسم شيء من الأسماء بذكر صفات له تميزه عما عداه، في حين تدل التعمية على اسم خاص بملاحظة كونه لفظًا بدلالة بينة (العسكري، 1412-466)، ويتميز اللغز بأنه يأتي على طريقة سؤال(الجرجاني، 1405- 247)، ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر:

وكثيرة الأحداق إلا أنها
عمياء ما لم تنغمس في ماء
وإذا هي انغمست أفادت ربَّها
ما لا يُنال بأعين البصراء

ويقصد بها شبكة الصياد (النويري، 2004-3/ 156)، و(الرفاء، 785).

2- **التعمية بمعالجة الحروف**: وتقوم على اتباع طرق تلزم قواعد محددة تخص كلًا منها، ويمكن تقسيمها إلى أربع طرق، هي:

- **التعمية بالقلب:** وتكون بتغيير مواقع الحروف وفق قاعدة معينة، قد يكون بقلب حروف كل كلمة ضمنها(مراياتي، وآخران،1987-43/1)؛ فتصبح – مثلا - جملة (القاضي لم يعدل) (يضاقلا مل لدعي).
- **التعمية بالإعاضة أو التبديل:** وطريقتها أن يبدلَ بكل حرف حرف أو رمز آخر وفق قاعدة محددة، كأن يستبدل بكل حرف الحرف الذي يليه (مراياتي، وآخران،1987-43/1)؛ فتصبح – مثلا - جملة (القاضي لم يعدل) (بمكبطا من اغذم)، وهذه التعمية هي التي يُعنى بها البحث إذ تدخل الدرسعية ضمنها، فهي قائمة على تبديل الحروف وفقًا لقواعد معينة، وسيتم الحديث عن تفاصيلها في موضعه، كما يدخل ضمنها التاريخ الشعري وهوما يُسمَّى بحساب الجُمَّل وسيتم تناوله والتعرف على أوجه الشبه بينه وبين الدرسعية ومواضع الاختلاف بينهما.
- **التعمية بزيادة حروف أو كلمات أو حذف حروف:** (مراياتي، وآخران،1987-43/1) ومثال ذلك زيادة حرف السين - مثلًا - على جملة (القاضي لم يعدل) فتصبح (اسَلْقَسَاضِسِي لَسَم يِسِعْدِسِل) وهذه الطريقة تستعمل في مجتمع الدراسة ، وتُسمى (لغة السين) ويكون نطقها على هيئة مقاطع صوتية حيث تنطق هكذا: اسل...قسا...ضسي...لسم...يسع...دسل، ولا يتوقف الأمر عند حرف السين فيمكن أن تكون الزيادة بأي حرف آخر.
- **التعمية المركبة:** وتكون باستعمال طريقتين أو أكثر من الطرق الثلاث السابقة في آنٍ واحد(مراياتي، وآخران،1987-43/1)، فإذا استعملنا الطريقتين الأولى والثانية في جملة(القاضي لم يعدل) أصبحت (اطبكمب نم مذغا).

المطلب الثاني- التاريخ الشعري (حساب الجُمَّل) وعلاقته بالدرسعية:

يُعد التاريخ الشعري من الفنون الشعرية المستحدثة في العصر المملوكي، ويعتمد في طريقته على جعل كل حرف من حروف أبجد هوز في مقابل رقم حسابي (علي،2001-15/ 169)، والحروف المعتمدة في حساب الجُمَّل هي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، ويأتي تفصيل القيم العددية لها على النحو الآتي:

الحرف	قيمته العددية
أ	1
ب	2
ج	3
د	4
هـ	5
و	6
ز	7
ح	8
ط	9

الحرف	قيمته العددية
ي	10
ك	20
ل	30
م	40
ن	50
س	60
ع	70
ف	80
ص	90

الحرف	قيمته العددية
ق	100
ر	200
ش	300
ت	400
ث	500
خ	600
ذ	700
ض	800
ظ	900
غ	1000

تأتي القيم السابقة وفقًا لاستعمالات المشارقة، أما المغاربة فيختلفون عنهم في ترتيب الكلمات التي تأتي بعد (كلمن) وهي:(صعض، قرست، ثخذ، ظغش) (باشا،1989-78)، وعليه تتغير قيمتها العددية، ومن الأبيات التي جاءت بطريقة التاريخ الشعري أبيات للشاعر الطالوي المعروف بالخال يرثي العلامة المهمنداري يقول فيها:

غابت شموس الأفق واسـ
ـودّ ضوء الفلق
وعاد نور الصبح دا
جٍ أسود كالغسق
وأظلم الغرب كما
أن حال لون المشرق
فقلت لما قل صبـ
ـري ثم زادت حُرقي
مستفهمًا أرخته
(أمات مفتي جِلَّق)

نجد الشاعر قد أرخ لوفاة العلامة المهمنداري بقوله: (أمات مفتي جِلَّق)(المصدرنفسه،81)
وتحسب على النحو الآتي: (أ=1 م=40 ا=1 ت=400 م=40 ف=80 ت=400 ي=10 جـ=3 ل=30 ل=30 ق=100) وعند حساب إجمالي القيم للحروف نحصل على الرقم1135هـ وهو عام وفاة المفتي.

وهذا النوع من الشعر كان موجودًا في الشعر الشعبي اليمني وفي مجتمع الدراسة، من ذلك أبيات للشاعر المرحوم محمد صالح العرامي قال فيها: (مؤرخًا لبناء بيت)

نعم بيت على ساحة
به الخير والعافية والقبول
وتاريخه مشهور يا فتى
بتاريخ مولد طه الرسول
وتاريخه بالسنين جملة
(بسعدى ونعمى وغم يزول)

حيث نجده يحدد تاريخ البناء بتاريخ مولد النبي ﷺ يقصد بذلك شهر ربيع الأول، ثم يحدد التاريخ بقوله: سعدى ونعمى وغم يزول، وتحسب على النحو الآتي: (س=60 ع=70 د=4 ى=1 ن=50 ع=70 م=40 ى=1 غ= 1000 م=40 ي= 10 ز=7 و=6 ل=30) وبعد جمع القيم السابقة نجد تاريخ بناء البيت في 1389هـ

وهذا النوع من الشعر يتشابه مع الدرسعية كونهما يدخلان ضمن التعمية، وكونهما يدخلان ضمن التعمية بالتبديل، إلا أنه يعتمد على الأرقام ويختص بالتواريخ في حين أن الدرسعية تعتمد على الحروف ولا تختص بأمر محدد.

المبحث الأول- مفهوم الدرسعية وطريقتها :

يمكن تعريف الدرسعية بأنها: طريقة من طرق تعمية الكلام تعتمد على تبديل الحروف وفقًا لقواعد متعارف عليها عند أصحابها، ويكون ذلك بتحويل النص المفهوم إلى نص غير مفهوم من قِبل المتحدث، ثم يأتي دور المتلقي، وذلك بتحويل النص الدرسعي إلى نص مفهوم، من خلال معرفته السابقة بقواعد الدرسعية، وهي كالآتي:

1- تعتمد الدرسعية على تبديل الحروف، فلكل حرف بديل آخر ينوب عنه، وهذا الحرف الأخير ينوب عن الحرف الأول، وهكذا، فمثلًا الباء ينوب عن الزاي و الزاي ينوب عن الباء، والألف ينوب عن الواو وهو ينوب عنه، فإذا أراد المتحدث بالدرسعية قول كلمة (أب) فإنها تصبح بالدرسعية (وز).

استعمال الحروف في الدرسعية

تم تقسيم حروف الهجاء إلى أربعة عشر مقطعًا، كل مقطع يتكون من حرفين اثنين، وهما الحرفان اللذان يتناوبان في الاستعمال وفق الطريقة الدرسعية، فالباء يتناوب مع الزاي، والتاء مع الذال، والنون مع القاف، وهلم جرًا. و تجمع هذه الحروف في التركيب الآتي:

بز- تذ – نق- في - خش - غض – جث - كم – صلا – أو - حط - له – در- سع

وتُلاحظ الباحثة أن اختيار هذه الحروف قد اعتمد على وضع الأحرف التي بنقاط مع بعضها، والأحرف التي بدون نقاط مع بعضها، ويمكن توضيح ذلك أكثر من خلال الجدول الآتي الذي قُسمت فيه الحروف إلى مجموعتين متقابلتين في صفين، فكل حرف في الصف الأعلى يقابله حرف في الصف الأسفل وهذان الحرفان يتبادلان مواقعهما في الكلام بحسب هذه الطريقة:

ب	ت	ن	ف	خ	غ	ج	ك	ص	أ	ح	ل	د	س
ز	ذ	ق	ي	ش	ض	ث	م	لا	و	ط	هـ	ر	ع

فكل حرف يستبدل بما يقابله، ويمكن ضرب الأمثلة لتتضح الفكرة أكثر:

- "وهعصك سهفمك" هذه العبارة هي بالطريقة الدرسعية، ويمكن تحويلها إلى نص مفهوم من خلال تبديل كل حرف بما يقابله:

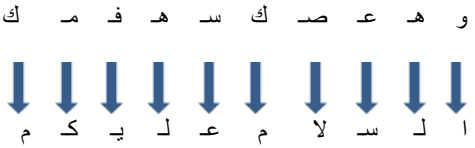

فتصبح بعد تحويلها: (السلام عليكم).

- وهخسد رفاوق وهسدز بالطريقة الدرسعية

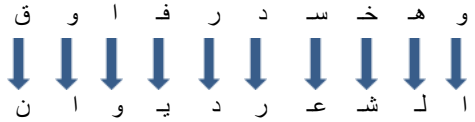

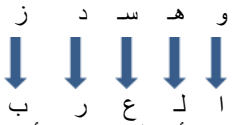

فنجد أن العبارة هنا أصبحت: (الشعر ديوان العرب)

- ويمكن كتابة الأسماء بالدرسعية على النحو الآتي:

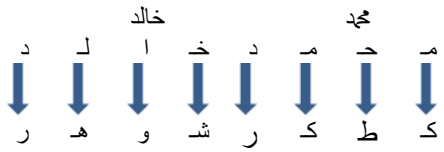

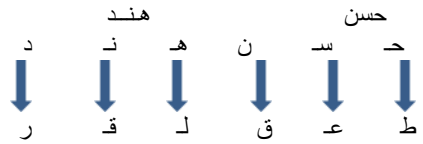

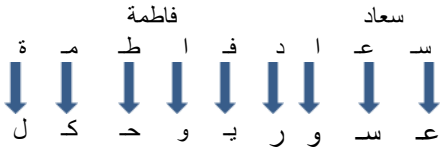

ووفقًا لما سبق تصبح الأسماء على النحو الآتي:
(محمد= كطكر) (خالد= شوهر) (حسن= طعق) (هند= لقر) (سعاد=عسور) (فاطمة=يوحكل)

2- تعوض الحركات عند الحاجة إليها بالحروف، فبديل الواو وهو (الألف) يأتي بدلًا عن الضمة، وبديل الألف وهو (الواو) يأتي بدلًا عن الفتحة، وبديل الياء وهو (الفاء) يأتي بدلًا عن الكسرة، فمثلًا عند قولهم:
(القَتَلة في القرية) يقولون: (وهنوذوهل يف وهندفل)، ويمكن توضيحها كالآتي:

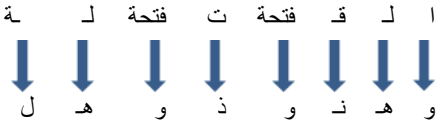

نلاحظ أنهم جاؤوا بالواو بدلًا عن الفتحة في حرفي القاف والتاء.

3- عند وجود الشدة يتم تكرار الحرف المشدد، فمثلًا عند قولهم:
(وكِّل الأمر لله) تأتي كلمة (وكِّل) على النحو الآتي:

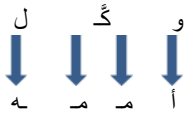

حرف الصاد يكتب (لا)، وإذا ورد في الكلمة حرف الهاء وبعده واو يكتب (ل-ا) حتى لا يلتبس الأمر بحرف الصاد؛ ذلك أن بديل الهاء هو اللام وبديل الواو هو الألف وعند اجتماعهما يلتبس الأمر بحرف الصاد وبديلها لا، وهذا الأمر يجعلنا نقول إن الدرسعية لغة كتابية وليست لفظية وحسب. فمثلًا كلمة (هو) تكتب هكذا:

4- تدخل الهمزة ضمن حرف الألف الذي يقابل الواو فإذا جاءت الهمزة تستبدل بالواو، فإذا جاءت كلمة السماء تكون (وهعكوو)، ويذهب بعض كتاب الدرسعية إلى كتابتها همزة، (وهعكوء).

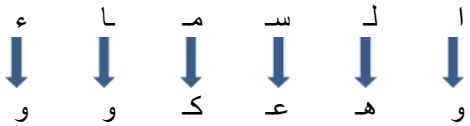

5- حرف الظاء غير موجود ضمن الحروف الدرسعية، ولعل السبب في ذلك هو اعتمادهم على الضاد في حالتي الضاد والظاء، مع أننا نجدهم في النطق ينطقون الظاء في حالتي الظاء و الضاد، ومثل ذلك مقولة: العلم نور والجهل ظلام، تصبح عندهم: وهسهك قاد ا وهثله غهوك.

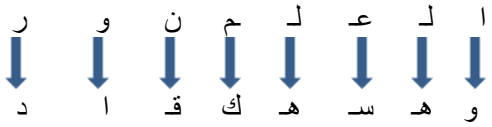

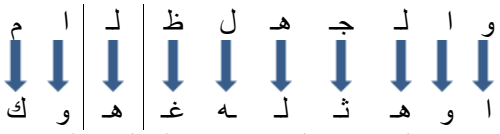

فحرف الظاء في كلمة ظلام يقابله الغين الذي هو مقابل الضاد، وهذا الأمر في الدرسعية عند أصحاب منطقة رداع وما حولها، أما عند غيرهم فقد وجدت الباحثة أنهم يقابلون الصاد بالظاء.

6- يتم اعتماد التاء المربوطة هاء، فمثلًا : (سمية) تصبح (عكفل) حيث يقابل التاء المربوطة هنا حرف اللام وهو المقابل لحرف الهاء.

ولعل الاشتقاق لتسميتها جاء من التباديل المذكورة في الحروف التي تنتهي عندهم بالتركيب (در سع)، يقصدون أن الدال بدل من الراء والعكس، وكذا السين بدل من العين، والعكس.

وقد جاء استعمال الشعراء للدرسعية من باب التعمية على السامعين فلا يصل للمعنى المفهوم إلا المتمكنون منها، ففيها نوع من الاستظهار والاستعراض لقدراتهم، كما أن فيها كثيرًا من الإلغاز على السامعين، ويخوض الشاعر من خلالها تجربة شعرية إبداعية تجعله في مصاف المبرزين من شعراء قومه.

المبحث الثاني-أصول الطريقة الدرسعية:

وجدت الباحثة أثناء بحثها عن التعمية أن الدرسعية لها أصول قديمة تصل إلى أكثر من ستة قرون؛ حيث ورد ذكرها عند ابن الدُّرَيْهِم (763هـ) في كتابه مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز، وهذا الكتاب قام بتحقيقه الدكتور محمد مراياتي ويحيى مير علي ومحمد حسان الطيان، وقاموا بتحقيق رسالتي الكندي وابن عدلان إضافة إلى رسالة ابن الدُّرَيْهِم في المجلد نفسه، وتلك الرسائل الثلاث كانت في التعمية، إلا أن الدرسعية موضوع هذا البحث وردت عند ابن الدُّرَيْهِم عند حديثه عن الأقلام التي يصطلحها الناس في باب الإبدال وتغيير الحروف، وقد ذكرها باسم القلم القُمِّيّ، نسبة إلى مدينة قُم في إيران، موضحًا حروف هذه الطريقة بالقول الآتي:

كم أو حط صلا له در سع في بز
خش غض ثج تذ نق (مراياتي، وآخران،1987-327/2)

وهذه هي طريقة الدرسعية المستعملة لدى فئة محددة من أفراد المجتمع في فترة زمنية سابقة كانوا يتقنونها شعرًا وحديثًا متداولًا، وما زالت لدى قلة من الأفراد ينطقون بها في أحاديثهم، وتكاد هذه الطريقة تندثر.

وقد وردت عند القلقشندي أيضًا موضحًا طريقتها محيلًا نقله إلى ابن الدُّرَيْهِم، شارحًا طريقة التبديل بين بعض هذه الحروف بقوله: "جعلوا الكاف ميمًا وبالعكس، والألف واوًا وبالعكس، والدال المهملة راءً مهملة وبالعكس، والسين المهملة عينًا مهملة وبالعكس، والفاء ياءً مثناة تحتية وبالعكس، فيكتب: محمد كطكر، وعلي سهف، ومسعود كسعار[1]" (القلقشندي،1987- 231/9).

المبحث الثالث- نماذج من الشعر الدرسعي:

لم تحتفظ الذاكرة الشعرية للأدب الشعبي بكثير من الأبيات الدرسعية، إلا أنه يمكن الاستشهاد بما بقي منها، والأبيات التي تذكر الدرسعية على نوعين: النوع الأول يتكلم حولها ويذكرها وهذا لا يدخل ضمن التعمية إلا أنه يوثق وجودها ويبين دورها، ومثال هذا النوع أبيات للشاعر المرحوم صالح علي سحلول من شعراء محافظة البيضاء مدينة رداع - قرية بيت العميسي يقول فيها:

قَالَ الفَتَى أَبُو نَاصِرَ الوَقْتَ اعْيَاه
وامْسَيتْ أَقَلِّبْ هَمْهَا وَعْيَاهَا
الوَقْت كَم مَّا ضَحَّك انْسَان ابْكَاه
يِكَدِّر الأَيَّام بَعد صَفَاهَا

وتتعاقب الأبيات في الحكمة وحوادث الإيام ثم يأتي إلى موطن الشاهد في القصيدة عند قوله:

(1) هكذا وردت عند القلقشندي والصواب أنها(كعسار).

وَانَا افْصِل الْخَطَ الْمَعَلَق واقْرَاه
واعْرِفْ حُرُوْف ابْجَد عَلَى مَهْجَاهَا
والدَّرْسِعِي مَقْلُوب انَا افْهَم مَعْنَاه
بــز تــذ نــق خــش اقْـرَاهَــا
كُل عَارِف مَا احَّدا يِثْقَفَّاه(2)
يَا انْسَــان حَاذِر مَكْرَهَا وِدَهَاهَا

يُلاحظ أن الشاعر يتحدث عن هموم الحياة وتعبه فيها وتعاقب الأيام في إضحاك المرء وإبكائه، ثم ينتقل للحديث عن قدرته على فهم الكلام بمختلف طرقه، وقد أورد في قصيدته طريقتين للتعمية الأولى باستعمال (أبجد) ولها أكثر من طريقة في التعمية كاعتماد طريقة الأرقام المذكورة سابقًا، أو طريقة التبديل بأن يستعمل الباء بدلًا عن الألف والجيم بدلًا عن الباء وهكذا كل حرف يستعمل بمعنى الذي يليه، والطريقة الثانية هي الدرسعية وقد أوضح معرفته بها وذكر بعضًا من حروفها.

ومن هذا النوع- أيضًا- أبيات للشاعر حسين سيلان الضريبي من شعراء محافظة البيضاء مدينة رداع- قرية ضريبة، يقول فيها:

يَا مَوهِبَة عِنْد بَعْضَ النَّاس مَوْهُوبَة
لكنَّهَا عَكْس في التَّرْتِيب والْكَلْمَات
في مَنْطِقَة وَاحِدَة ظَهَرَت وَمَرْغُوبَة
تَدَاوَلُوهَا كَمَا نِتدَاوَلَ الْعُمْلات
لكنَّها الْيَوم صَارت شِبه مَحْجُوبَة
وِإسْمَهَا حَي لَكِن دَوْرهَا قَد مَات

يـذكر الشـاعر فـي هـذه الأبيـات أن ممارسـة الدرسـعية موهبـة، ثـم يوضـح أنهـا تـتم بتبـادل فـي الحروف، ولغلبة هذا الشعر على منطقة رداع وما حولها رأى أنها ظهرت فيها أكثر من سواها، ثم يتحدث عن تداولها بين روادها كأنها عُملة، مختتمًا أبياته بأنها قد نُسيت ولم تعد موجودة.

النوع الثاني يأتي بالطريقة الدرسعية إما بكلماته كلها أو بتضمين مفردات بالطريقة الدرسعية، ومن هذا النوع أبيات للشاعر محمد علي الحاج من شعراء محافظة البيضاء- مديرية العرش- قرية شيحاط، يقول فيها:

ولَهْجَة دَارِجَة بَيْن الرّعِية
حِكَاية عِند سودي وهمهوك
ومَن عِندَه التَّفْكِير عيه
علد هفهل هوحديل فقوك

يلاحظ أنه ضمن قصيدته شيئًا من الدرسعية من خلال استعمال مفردات بالطريقة الدرسعية (سودي- وهمهوك- عيه- علد- هفهل- ولاحديل- فقوك) وتصبح هذه المفردات بعد استخراج المُعَمَّى على التوالي: (عارف- الكلام- سفل- سهر- ليله- ول-ا طر فه ينام) والشاعر هنا عبر عن الدرسعية بأنها لهجة تُعرف لدى عارف الكلام أما صاحب الفهم البطيء فيحتاج للسهر حتى يفهم المقصود.

ومن الأبيات التي جاءت درسعية خالصة أبيات مساجلة بين الشاعر المرحوم قايد التام من شعراء محافظة البيضاء- مديرية العرش- قرية ملاح، وبين الشيخ المرحوم عبدالواسع الحبيشي، من محافظة البيضاء، مدينة رداع- بيت العميسي، يبدأ فيها الشيخ عبدالواسع الحبيشي بقوله:

فو طوث نوفر مفي عافذ وهطموفل
شهفذ قو كق ضفر لا زاط
ودمقذ قو زوههطكل وههف يف سهوفل
أو هذ وهفل قومه هطاط

ويصبح النص بعد استخراج المُعَمَّى على النحو الآتي:

يَا حَاج قَايِد كَيف سَوَّيت الْحِكَايَة
خَلَّيْتِنَا مِن غَير صَبُوح
أَرْكَنْتِنَا(3) بَالْلَحْمَة الِّي في عِلَايَة
والتَّالِية نَاكُل لُحُوح(4)

ويأتي الرد بنفس الطريقة:

فو خفش سزرل نهذ هم كقت وهزروفل
خو لاززطم كق طن قاط
سق وهسرع كتماد يف وهندوق زوفل
لازاط ندوقف نطاط

يصبح النص بعد استخراج المُعمَّى على النحو الآتي:

يَا شَيْخ عَبْدَه قُلت لَك منذ البِدَايَة
شَاصَبِّحَك مِن حَق نُوح
عَنَ الْعَدَس مَذْكُور في القُرآن بِآيَة
صَبُوح قَرآنِي قُحُوح(5)

ويبـدو النصَّـان فكـاهيين يُقصـد بهمـا الدعابـة والتسلية، ولا يُراد فهمهما إلا لمن يعرف طريقتهما، كما قد يقصد الشاعران استعراض مهاراتهما في كتابة الشعر بهذه الطريقة، و يُفهم من الحوار الشعري السابق أن أحدهما قد وعد الآخر بطعام جيد و ذكر منه اللحمة ثم لم يكن ذلك، إذ قُدم له نوع من الخبز أسماه اللحوح، فقال البيتين مستفهمًا استفهامًا استنكاريًا على صاحبه، ويرد عليه الآخر بأنه قد أخبره من البداية بأن الطعام سيكون قرآنيًا جيدًا مشيرًا إلى كلمة العدس المذكورة في القرآن، هذا ما يظهر من الأبيات ولا تستبعد الباحثة وجود معانٍ خفية يرمي إليها الشاعران وتم التعبير عنهما بهذه الطريقة.

(2) يتتبع أثره.

(3) وعدتنا.
(4) نوع من الخبز يصنع بطريقة خاصة.
(5) خالص وجيد في الصنع.

الخاتمة والنتائج:

وبعد هذا الحديث عن التعمية في الشعر الشعبي اليمني عن طريق الدرسعية، واستعراض هذه الأبيات يمكن القول إن تاريخ الطريقة الدرسعية قديم جدًا، وقد يكون وصوله إلى هذه المناطق عبر السفر قديمًا أو بعض الكتب التي كانت موجودة رغم شحتها، وتعلل الباحثة استعمال التعمية لدى الشعراء في منطقة رداع وما حولها قديمًا برغبة الشعراء في خوض تجربة فنية فريدة تدهش المتلقي، فحاجة الإنسان لإبهار غيره واستعراض قدرته قديمة فيه، ولا تجد الباحثة في النصوص السابقة أثرًا لإخفاء أمور حرب أو آثار خوف من أمر ما إلا أنها لا تستبعد وجود تلك الأمور في قصائد أخرى، وترى ضرورة توثيق هذا اللون من الشعر والحفاظ عليه، فالدرسعية شكّلت جزءًا مهمًا من تراث المنطقة.

المصادر والمراجع:

- أولًا: المراجع الطبيعية: المهتمون بالطريقة الدرسعية والناقلون لها، وهم:

- الأستاذ الدكتور أحمد أحمد العرامي رئيس جامعة البيضاء.
- بعض أفراد عائلة الشاعر المرحوم قائد التام، أخص منهم الأستاذة إحسان أحمد قائد التام.
- الشيخ عبدالله عبدالواسع الحبيشي.
- الشاعر حسين سيلان الضريبي.
- صالح محمد صالح العرامي.

- ثانيًا: الكتب:

- باشا، عمر موسى.1409هـ-1989م، *تاريخ الأدب العربي-العصر العثماني*، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر- بيروت.
- بايبر، و ميرفي، فريد، وشون. 2016، *علم التشفير- مقدمة قصيرة جدًا*، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: هاني فتحي سليمان، مراجعة علمية: د. حاتم بهيج، مؤسسة هنداوي
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني. *التعريفات*، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت.
- الرفاء، السري بن أحمد الكندي. *الديوان*، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسني، دار الرشيد للنشر.
- العسكري، أبو هلال. 1412، *الفروق اللغوية*، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي.
- علي، جواد. 1422هـ 2001م. *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. الطبعة الرابعة. دار الساقي.
- القلقشندي، أحمد بن علي. 1987، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى*، دار الفكر – دمشق.
- مرياتي، علي، و الطيان، محمد، ويحيى مير، ومحمد حسان. 1987، *علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب*، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. 1424 هـ - 2004م، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- ثالثًا: المجلات والدوريات:

- البواب، مروان.2009، علم التعمية في التراث العربي، *المؤتمر العلمي الثامن، مجمع اللغة العربية بدمشق.*
- الحسني، محمد مكي. علم التعمية واستخراج المُعمَّى عند العرب، *مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق*، مج83، ج1.